(78) وعقولهم، ولم تجتثّ الرواسب الجاهلية المتأصّلة فيهم، فقد كانت هذه الرواسب تلوح منهم بين حين وآخر، . وتظهر مظاهر التذبذب والتردّد; كلمّا أحكمت الصعوبات والمحن بقبضتها عليهم !!! ففي معركة(احد) مثلاً عندما ترك بعض الرماة مواقعهم على الجبل(خلافاً لأمر الرسول الأكرم وتأكيداته على البقاء) وبوغت المسلمون بهجوم الكفار عليهم وهم يجمعون الغنائم، واصيبوا بنكسة كبرى وروّج الأعداء المشركون شائعات عن مقتل النبيّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، هرب بعض المسلمين من ساحة المعركة، ولاذ بعضهم بالجبل، بل فكّر بعضهم بالتفاوض مع المشركين حتّى أتاهم أحد المقاتلين ووبّخهم على فرارهم وتخاذلهم وتردّدهم قائلاً: "إن كان محمّد قد مات فربّ محمّد حيّ، قوموا ودافعوا عن دينه"(1). ولم تكن هذه الواقعة وحيدة من نوعها; فقد ظهرت بادرة الارتداد من بعضهم في(هوازن) ما لا يقلّ عمّا ظهر في أحد. فقد روى ابن هشام عن جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ، قال: لمّا استقبلنا وادي حنين; انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف(أي متّسع) حطوط(أي منحدر)إنّما ننحدر فيه انحداراً، وقال: وفي عماية الصبح، وكان القوم(العدو) قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه وقد أجمعوا وتهيّأوا وأعدّوا، فواللّه ما راعنا ونحن منحطون إلاّ الكتائب قد شدّوا علينا شدّة رجل واحد وانشمر(أي انهزم) الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد وانحاز رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذات اليمين، ثمّ قال: "أين أيّها الناس هلمّوا إلّي، أنا رسول اللّه". فانطلق الناس(أي هربوا) إلاّ أنّه قد بقي مع رسول اللّه نفر من المهاجرين والأنصار. فلمّا انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من جفاة أهل مكّة الهزيمة; 1- سيرة ابن هشام2:83.